وعظ شيخ الاسلام للسلطان قايتباي

السلطان ينتفض ويبكي وقلت له مرة في الخطبة تنبه لنفسك يامن
ولاه الله امور العباد وتذكر بداية امرك وما كنت فيه وحالك اليوم
قد كنت عدما فصرت وجودا وكنت كافرا فصرت مسلما وكنت رقيقا
فصرت حرا وكنت مامورا فصرت امرا وكنت اميرا فصرت سلطانا فلا
تعامل هذه النعمة بالتجبر والتكبر وتنسى مبداك ومنتهاك ووضع
انفك في التراب حين تموت ثم ياكلك الدود وتصير ترابا فبكى السلطان
ثم قال لمن حوله من الامرا اذا ابعدت هذا اعني فمن يقول لي هذا الوعظ
واخبرني يوما ان الخضر عليه الصلاة والسلام كان يجتمع بسيدي علي
الضرير النبتيتي فساله يوما عن احوال علما العصر فصار يقول فلان
فيقول ونعم منه ثم ساله عني فقال ونعم منه الا ان عنده نفيسة فقلت لم
يتوب منها ولم يعين له الخضر ذلك فتنكرت على افعالي وما عندي
نظير من جميع افعالي فارسلت اقول لسيدي علي اذا رايته مرة اخرى
فسله من فضله يبين لي النفيسة لاتوب عنها فراه فاخبره وقال
انه اذا كتب للامرا في حاجة يقول للقاصد قل هذا الكتاب من عند
الشيخ زكريا فيسمي نفسه شيخا فمن ذلك اليوم ما تلفظت بهذه الكلمة
وحكى لي مرة قال كنت كثير الاعتكاف في خلوتي فوق سطح جامع
الازهر فدق رجل على الباب ففتحت له فقلت له ما حاجتك فقال
قد كف بصري ودلني الناس على فضلك تدعو لي بالشفا فيرد الله
علي بصري قال وكان لي علامة في اجابة دعوتي الدعا المجاب وغير
المجاب فتوجهت الى الله تعالى فرايت علامة الاجابة وخفت
من الشهرة فقلت له خذ هذا الدرهم وامض به الى العجمي الذي
تحت الرقوقية وقل له يعطيك اليك زكريا لتعطيني بهذا الدرهم
توتيا حاف قال فمضى الرجل واخذ التوتيا ورجع الي فقلت له

لايرد

لايرد الله عليك بصرك في مصر وانما يرده عليك في قطية فسافر وقلت
له اذا رد الله عليك بصرك في قطية فلا ترجع الى مصر في هذه السنة
قال الشيخ فوصل الى بيت المقدس بصيرا ومكث يكتب مصاحف وكتب
علم وارسل الي كذا كتابا بخطه ولم يزل بصيرا حتى مات وكان رضي
الله عنه كثير الصدقة سرا وجهرا ولكن كانت صدقته سرا اكثر وما
رايت في العلما والصالحين اكثر صدقة منه وكان له جماعة يتصدق
عليهم كفايتهم من يوم او جمعة او شهر وكان كثيرا ما يعطي كل وارد
عليه يوم تهنيته بالشهر ولكل احد مقام عنده في العطا من القضاة
والعلما وطلبة العلم والمساكين فمنهم من له في كل شهر عشرة انصاف ومنهم
من له خمسة الى نصف الى عثماني وكان غالب الناس يعتقد في الشيخ
قلة الصدقة من كثرة اخفائها وكان اذا جاءه فقير يطلب شيا يقول
لي هل هنا احد فان قلت له نعم يقول لي قل له ياتينا في غير هذا
الوقت وكان فقير من الصعيد له عليه مرتب كل يوم فيقول له
زرت سيدي عبد القادر الكيلاني البارحة زرت النبي صلى الله عليه وسلم
البارحة زرت سيدي ابا الحجاج الاقصري والشيخ ساكت فقلت له
يوما انه لم يلحقه يصل الى هذه الاماكن فقال الشيخ يحتمل ان يكون صادقا
فان الامر ممكن فان الدنيا خطوة مؤمن ورايت له مرة رؤيا حسنة
ولم اذكرها له فلما جلست بين يديه للمطالعة في شرح البخاري قال
لي من ذات نفسه قف واذكر لي ما رايت الليلة فقلت له رايت اني
معكم في مركب وانت جالس عن يسار الامام الشافعي فقلت لي سلم على
الامام فسلمت عليه ودعا لي والمركب مقلعة في بحر مثل عباب النيل ورايت
المركب كلها مفروشة بالسندس الاخضر وكذلك القلع وحباله كلها حرير اخضر
فلا زلنا مقلعين حتى انتهينا الى جنينة عظيمة اصولها في ساحل البحر